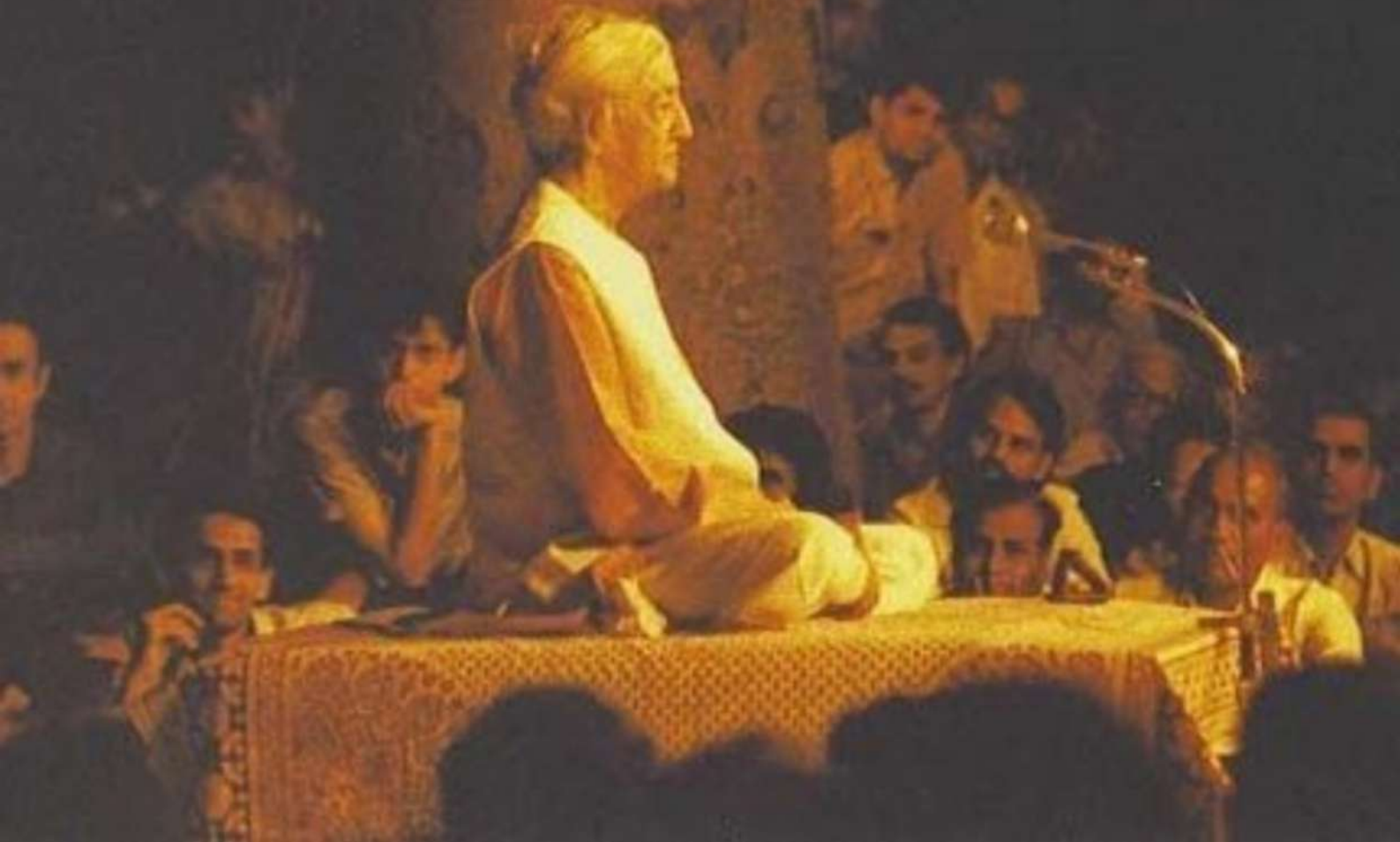


تأملات

جدو كريشنا مورتى
ترجمة كرار صباح القره غولى

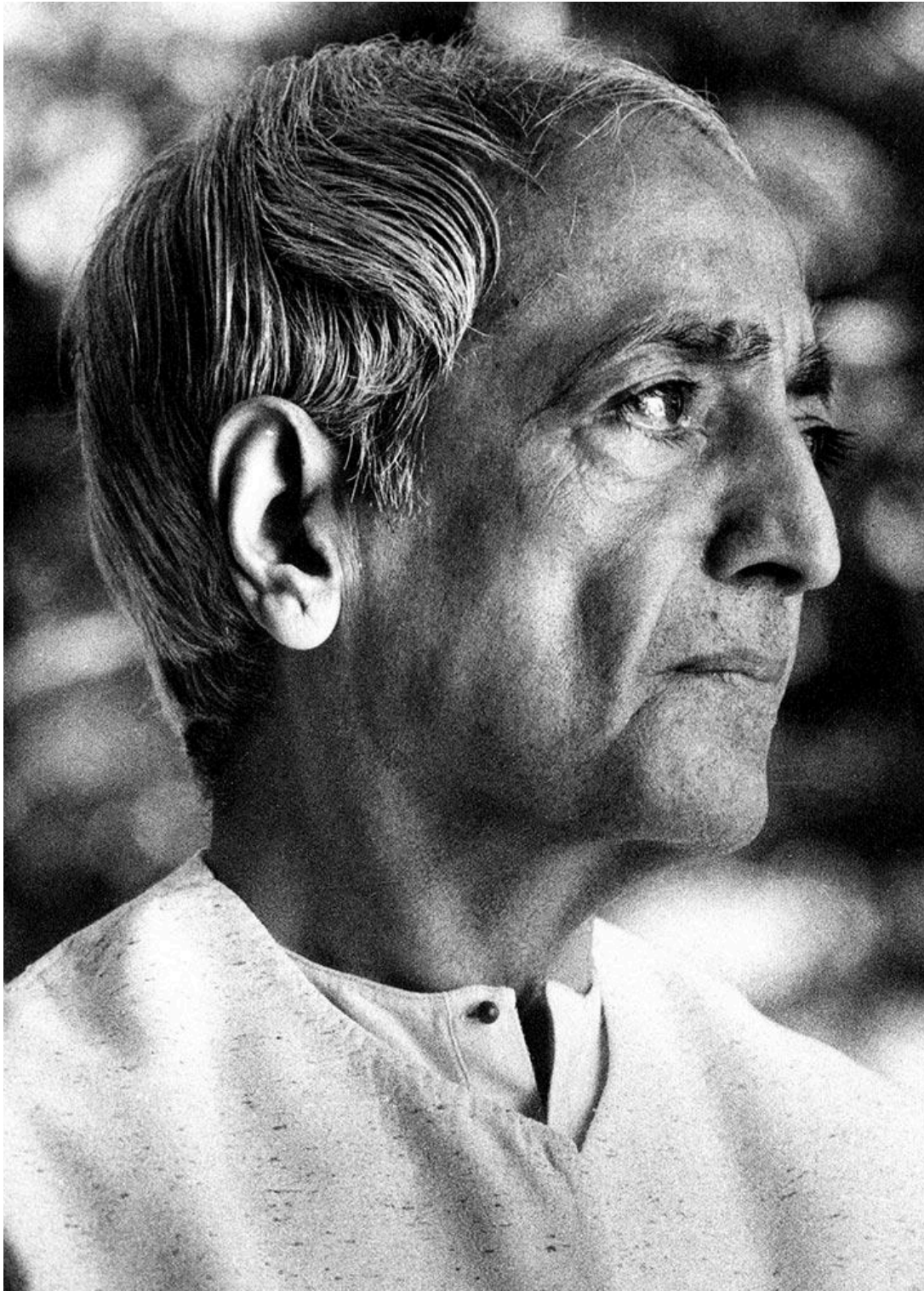


التأملات

جدو كريشنا مورتى
ترجمة كزار صباح القره غولي

J. KRISHNAMURTI
MEDITATIONS

LONDON
VICTOR GOLLANCZ LTD
1980



مقدمة

في سعيه للهروب من الصراعات، ابتدع الإنسان أشكالاً
شَتى من التأمل. أشكالاً تستند إلى الرغبة والإرادة والسعي
صوب الإنجازات، وتتطوي على صراع ونضال بغية
الوصول إلى الهدف. وهذا السعي الواعي المقصود يقع
دائماً ضمن حدود العقل المشروط، المُفتقر إلى الحرية. كل
جهد يُبذل للتأمل هو نقيض للتأمل.
التأمل هو نهاية الفكر. وعند ذلك فقط يوجد بُعد مختلف
يتجاوز الزمن.

جدو كريشنامورتي ١٩٧٩

J. Krishnamurti

March, 1979

تأمل بلا منهاج

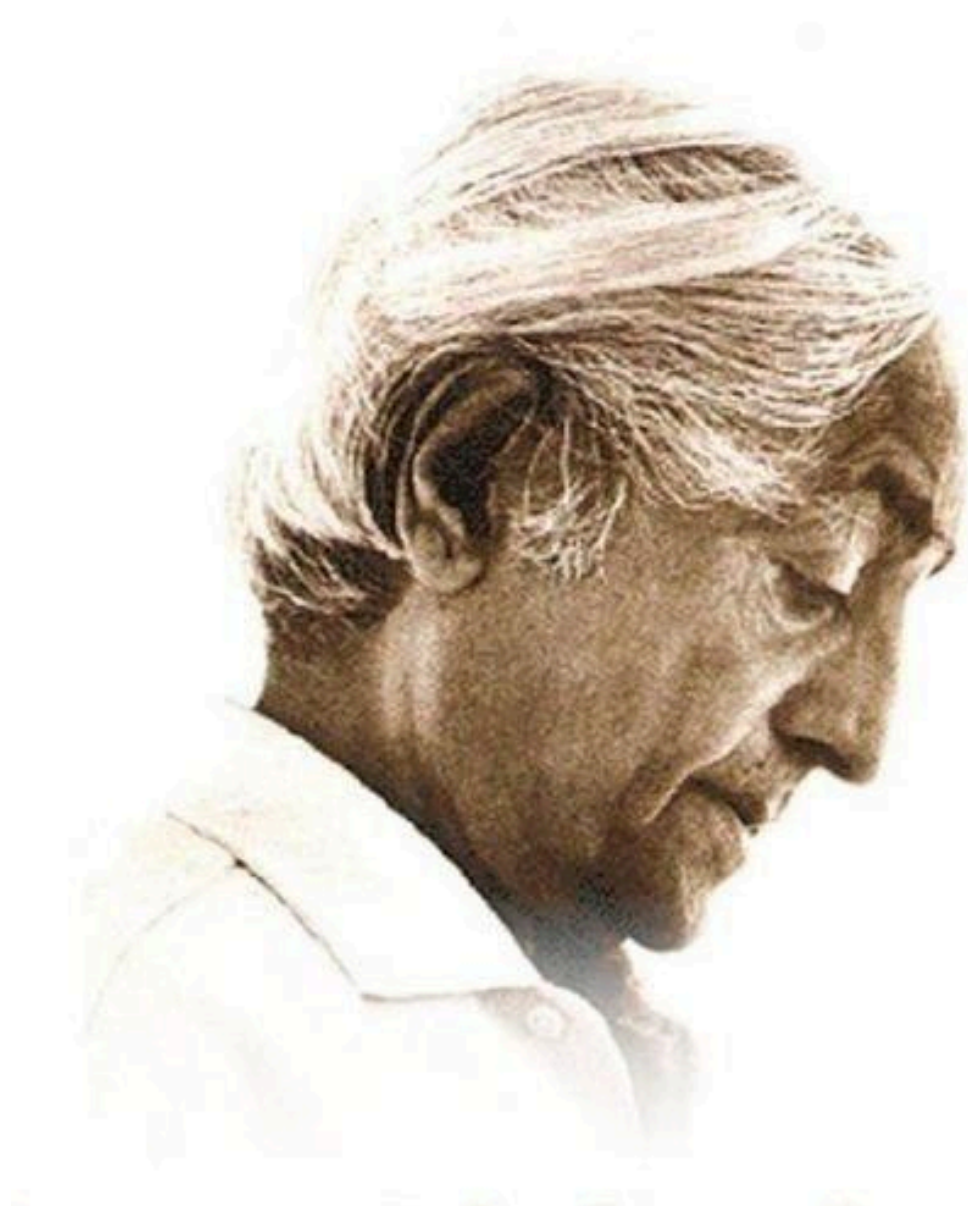
إن نهج كريشنامورتي في التأمل نهجٌ فريدٌ من نوعه. فهو نهجٌ ثوريٌّ. وقد وُصِفَ بأنه "تأمل بلا منهاج"، مُعرضًا عن الممارسات والأهداف والضوابط التي يُنادي بها أغلب المعلمين والتقاليد. فالتأمل عند كريشنامورتي ليس شيئاً تخوضه أو تختبره، وهو ليس بشيءٍ تتعلمه من شخصٍ آخر، ليس تركيزاً أو إغراقاً في التفكير. وليس ثمة مكان يُبتَغى الوصول إليه.

وحركة العقل في أي اتجاه، ولأي غرض، ليست تأملاً كونها مرتبطةٌ بالزمن، ومتجذرةٌ في المعلوم/المعروف. وحتى إن الوجودَ بحدِّ ذاته، والذي هو بمنأى عن المستقبل والماضي، موضعُ تساؤلٍ من قِبَل كريشنامورتي، لأن أساسه هو المركز، "الأنا".

هل التأمل شيءٌ منفصلٌ عن الحياة اليومية؟ إن السكينة وراحة البال التي نبغي غالباً ما تكون رد فعلٍ، خطوة بعيداً عن وقائع حياتنا ومشاكلنا وهمومنا. يقترح كريشنامورتي أن التأملَ مرتبطٌ بشكلٍ مباشرٍ بأنشطتنا اليومية، وليس شيئاً منفصلاً، ولا يُمكن تحقيقه إلا بوجودِ نظامٍ في حياتنا

اليومية. إنه ليسَ ممارسات اليقظة الذهنية التي يتم
تدريسها عادةً، أو مراقبة التنفس أو تكرار للترانيم.

التأملات



أخشى أن كلمة "التأمل" قد أُسيء استخدامها كثيرًا. هناك العديد من مناهج التأمل - التبتية والصينية والهندوسية والبوذية - لا أعرفُ ماذا تقصدُ تلك المناهج بالتأمل. بالنسبة لي، التأملُ هو شيء لا يمكن الإتيان به أو ممارستهُ باتباعِ نظام. يجب أن يتأتى التأملُ بشكلٍ طبيعي، كالزهرة التي تتفتح بذاتها.

إنَّ العَقْلَ المتأملَ هو عقلٌ صامتٌ . ليس الصمتَ الذي يُمكن
للفكرِ أن يتخيله . ليس صمتٌ مساءً ساكنٌ . إنه ذلك الصمت
عندما يتوقفُ الفكرُ كُلِّياً - بكلِّ صورهِ وكلماتهِ وتجلياتهِ .
إن هذا العقلَ المتأملَ هو عقلٌ دينيٌ - الدينُ الذي هو بمنأى
عن الكنائسِ أو المعابدِ أو الترانيمِ . إنه انبثاقٌ للحبِ .
الحب الذي لا يعرفُ الفِرقةَ . فلا بعيدٌ عنده ولا قريبٌ . هو
حالة الحب التي يتلاشى عندها كلُّ انقسامٍ واحدٍ كان أو
أكثرٍ .

وشأنهُ شأنُ الجمالِ ، إنه يتعالى على الكلماتِ .
من هذا الصمتِ وحدهُ يتجلى العقلُ المتأملُ .

في ذلك الصباح كان البحرُ أشبه ببحيرةٍ أو نهرٍ هائلٍ - بلا
تموج، وهادئٍ إلى الحدِّ الذي يجعلك ترى انعكاساتِ النجوم
في ذلكم الصباحِ الباكر. لم يكن الفجرُ قد أشرقَ بعد، لذا
كانت النجومُ وانعكاساتِ الجرفِ وأضواءُ المدينة البعيدة
تتلاً على الماء. وبشروقها فوق الأفقِ في السماءِ
الصافية، شقتِ الشمسُ مساراً ذهبياً.

وأنت تُراقب، يتسللُ إليك سكونٌ عظيم. ويغدو الدماغُ نفسه
هادئاً للغاية، بلا أي ردِّ فعل، بلا حركةٍ. شعورٌ غريبٌ من
السكونِ التام. "الشعور" ليست الكلمةُ المناسبة. إن جودةَ
هذا الصمت، هذا السكون، لا يشعرُ بها الدماغُ؛ إنها تتجاوز
الدماغ. يمكن للدماغِ أن يتصور أو يصوغ أو يصمم
للمستقبل، لكن هذا السكون يتجاوزُ نطاقه، يتجاوزُ كلَّ
خيالٍ، يتجاوزُ كلَّ رغبةٍ. أنت ساكنٌ للغاية لدرجة أن جسديك
يصبحُ جزءاً من الأرضِ تماماً، جزءاً من كل شيء ساكن.

وبينما كانت النسمةُ الخفيفةُ تهبُّ من التلالِ، وتحركُ
الأوراق، لم يُعكِر هذا صفو هذا الهدوء. كان المنزلُ بين
التلالِ والبحر، مُطلاً على البحر. بينما تُراقبُ البحرَ، في
هدوءٍ شديد، تغدو حقاً جزءاً من كل شيء.

التأملُ من أعظم الفنون في الحياة - ورُبما أعظمها. لا
يُمكن للمرء أن يتعلم التأمل من أي شخصٍ آخر. وهذا هو
مَكْمَنُ الجمال فيه. ليس للتأمل شِرعَةٌ أو منهاجًا وبالتالي
ليس له سُلطان وسَطوة. عندما تتدارس نفسك وتُبصرها
والكيفية التي تسير وتأكل وتنطق وتثرثر بها وما تحمل من
كراهيةٍ وغيرة - إذا كُنْتَ على درايةٍ بكل ذلك في ذاتك، فإن
ذلك مما لا ريب فيه هو من التأمل.

لذلك يُمكن أن يُترأى التأمل عندما تكون جالسًا في حافلة
أو ماشيًا في غابة مَلاى بالضياء والظلال ، أو بإستماعك
إلى غناء الطيور أو بنظرةٍ إلى وجه زوجتك أو طفلك.

أنه لشيء يدعو للفضول تلك الأهمية البالغة للتأمل ؛ هذا الشيء الذي لا نهاية ولا بداية له. إنه أشبه بقطرة المطر: في تلك القطرة تتراعى جميع الجداول والأنهار والبحار والشلالات. بتلك القطرة تتغذى الأرض ويرتوي الإنسان وبدونها تؤول الأرض صحراء جرداء. بدون تأمل يصبح القلب صحراءً وقفراً.

يسمح التأمل لنا بمعرفة ما إذا كان بإمكان الدماغ ، بكل
أنشطته وتجاربه أن يكون هادئاً بشكلٍ مُطلق. من غير أن
يُساق عنوةً الى ذلك ، لأنه في اللحظة التي يُجبر فيها
الدماغ على ذلك نكونُ قد وَقَعْنَا في ازدواجية. الشخصُ
الذي يقول ، "أريدُ خوضَ تلك التجارب الرائعة ، لذلك يجب
أن أُجبرَ عقلي على الهدوء" - لن ينالَ ذلك أبداً.
لكنك إذا ما شرَعت في التقصي والملاحظة والاستماع إلى
كل حركاتِ الفكر وتكيفاته وفعاله ومخاوفه وملذاته ، وبدأت
مراقبة الكيفية التي يعمل بها الدماغ ، فسَتَرى أن الدماغ
يُصبحُ هادئاً بشكلٍ استثنائي ؛ ليس هدوءاً من قبيل النوم بل
إنه يغدو مفرطاً في النشاط وهادئ في ذاتِ الوقت. إن
المحركَ الكبير الذي يعمل بشكلٍ مثالي بالكاد يصدر صوتاً ؛
و فقط عندما يكون هناك احتكاك تكون هناك ضوضاء.

إن الصمتَ والإتساعَ يسيران جنبًا إلى جنب. إن سعةَ
الصمتِ هي سعةُ العقلِ الذي لا يتمركز على شيء.

إن التأملَ عملٌ مضمّنٌ. إنه يتطلبُ أسمى أشكال الانضباط - ليس الخضوع ، وليس التقليد ، وليس الطاعة - ولكن الانضباط الذي يتأتى من خلال الإدراك المستمر ، ليس فقط للأشياء المتعلقة بك ظاهرياً ، ولكن تلك الباطنية أيضاً. لذا فإن التأمل ليس مُدعاة للعزلة ولكنه نشاط في الحياة اليومية يتطلبُ تعاوناً وإحساساً وذكاءً. بدون إرساء أسس الحياة الفاضلة يغدو التأمل ملاذاً ومهرباً ليس إلا وبالتالي شيئاً لا قيمة له البتة. ليست الحياة الفاضلة في الامتثال لأخلاق المجتمع ، ولكنها في التحرر من الحسد والجشع وابتغاء السلطة - وكل ما هو مدعاة للبغضاء. إن التحرر منها لا يأتي بفعل الإرادة ولكن بالوعي بها من خلال معرفة النفس. بدون معرفة فعال النفس ، يُصبح التأمل إثارةً حسيّةً ليس إلا وبالتالي ليس له تلك الأهمية.

إن البحثَ الدائبَ عن تجاربٍ أوسعٍ وأعمقٍ وأكثرٍ تسامياً
هو ضربٌ من ضروبِ الهروبِ من الواقعِ الفعلي ل
"الماهية what is" ، المُتمثلة بأنفسنا : عقننا المشروط.
لماذا قد يصبو عقلٌ يقظٌ وذكيٌ وحرٌ بغيةً أي "تجربة"
على الإطلاق؟
إن النورَ نورٌ ولا يبتغي مزيداً من النور.

إن التأمل من أسمى الأشياء ، وإذا كنت غير مُدرك له فأنت أشبه بإنسانٍ أعمى في عالم من الألوان الزاهية و الظلال والضوء المتموج. إنه ليس شيئاً فكرياً ، ولكن ما أن يطل القلب على العقل، يوول العقل لشيء مختلف تماماً ؛ حيث يغدو لا حدود له ، ليس فقط في قدرته على التفكير ، والعمل الناجع ، ولكن أيضاً في إحساسه بالعيش في فضاءٍ واسعٍ حتى ترى نفسك جزءاً من كل شيء.

التأمل هو حركة الحب. إنه ليس حباً لفردٍ أو جماعة. إنه أشبه بالماء الذي يُمكن لأي شخصٍ أن يرتوي به من أي جرة ، ذهبية كانت أو خزفية: هو معينٌ لا ينضب.

ومما يترأى لنا ذلك الشيء الغريب الذي لا يُمكن أن يستجلب أثره أي دواء أو منوم : يبدو الأمر كما لو أن العقل يمخر عباب نفسه ، ولو جاً من السطح صوب عمقٍ أكبر ، حتى لا يغدو للقاع والسطح معنىً وينتفي كل شكلٍ من أشكال القياس . في هذه الحالة ، هناك سلامٌ تام - ليس رضى يتأتى بإشباع - ولكنه سلام يزهو بالنظام والجمال والبيان. لا يُمكن تعلم هذا التأمل من شخصٍ آخر. يجب أن تبدأ دون معرفةٍ أي شيءٍ عنه ، وتنتقل متدرجاً من صفو إلى صفو.

إن التربة التي يمكن أن يبدأ فيها العقل المتأمل هي تربة الحياة اليومية حيث الصراع والألم والفرح العابر. يجب أن تبدأ من هناك ، وتتأتى بالنظام ، ومن ثم ترتحل إلى ما لا

نهاية. ولكن إذا كان جُل همك فقط ابتغاء النظام ، فسيؤدي ذلك النظام بالنفسِ إلى حدودها ، وسيكون العقلُ أسيرًا له. في هذه الرحلة ، يجبُ أن تبدأ بطريقةٍ ما من الطرفِ الآخر ، من الشاطئِ الآخر ، ولا تهتم دائمًا بهذا الشاطئِ أو بكيفية عبورِ النهر. يجب أن تغطس في الماء دون أن تعرف كيف تسبح. ومما يزيد من جمال التأمل أنك لا تعرف أبدًا أين أنت وإلامَ تؤول وما هي النهاية.

التأمل جزءٌ من الحياة ، وليس شيئاً مختلفاً عن الحياة.

إذا قررتَ ممارسة التأمل ، فلن يغدو ذلك تأملًا أبدًا. إذا
قررتَ أن تكونَ خيرًا ، فلن يُزهر الخير أبدًا. إذا كنتَ تبتغي
التواضع، لن تنالَ التواضع ما حييت.
التأملُ هو النسيمُ الذي يأتي عندما تترك النافذةَ مفتوحة ؛
ولكن بتركِ النافذة مفتوحة عن عمد ، ودعوته للحضور
قصدًا ، لن يطلَ علينا ذلك الضيف أبدًا.

ليس التأمُّلُ وسيلةً لتحقيقِ غايةٍ. إنهُ الوسيلةُ والغايةُ.

يا لهُ من شيء مُذهِلٍ هو التأمل. إذا ما كان ثمة أي إزامٍ أو إكراه لسوقِ الفكرِ للطاعةِ أو الامتثالِ فإن الفكرَ يؤولُ عبثاً مُرهقاً. فالصمتُ المنشودُ لن يعودَ هادياً لذلكِ الفكرِ. وإذا كان جُلُ مَسعانا الرؤى والتجاربِ فإننا إلى الأوهامِ منقادون. ولن يحظى التأملُ بالأهمية إلا في ازدهارِ الفكرِ الذي لا يُمكن له أن يزدهر إلا في ظلِ الحرية، لا بكونه رهيناً لأنماطِ المعرفةِ المُتزايدةِ الاتساعِ.

قد تَشِي المعرفةُ بتجاربٍ جديدةٍ إلى أثرٍ عظيمٍ، ولكنَّ العقلَ الذي يتوسلُ التجاربَ أيًا كانت هو عقلٌ غيرُ ناضجٍ. النُّضجُ هو التحررُ من كلِّ التجاربِ؛ والاتسلاخُ من أيِّ تأثيرٍ لمتنويةٍ "يكون أو لا يكون".

إن النُّضجَ في التأملِ هو تحريرُ العقلِ من المعرفةِ، كونُ المعرفةِ تُشكِّلُ وتتحكمُ في كلِّ التجاربِ. والعقلُ الذي هو نورٌ لِنَفْسِهِ هو أسمى من أن يكونَ بحاجةٍ إلى أيِّ تجربةٍ. وعدمُ النُّضجِ هو الرغبةُ الشديدةُ في الحصولِ على تجربةٍ أعظمٍ وأوسعٍ. التأملُ هو الترحالُ في دُنيا المعرفةِ والتحررُ من قيودها للولوجِ إلى المجهولِ.

ينبغي على المرء أن يتدبر أمره بنفسه، وليس بمعية
شخص آخر، حيثُ سُطِّطَ المُعلِّمين والمُخلصين والقادة. إذا
كُنْتَ تبغي حقاً معرفة ماهية التأمل، وَجِبَ أن تتخلى عن كل
سُطِّطَةٍ تاماً وبشكل كامل.

يمكنك شراء السعادة واللذة في أي سوق وبسعر مُعَيّن،
ولكنّ النعيم لا يمكنك شراؤه لنفسك أو لغيرك.
إن السعادة واللذة رهينا الوقت، أما النعيم فلا يتمثل لنا إلا
في التحرر المطلق. يمكنك البحث عن اللذة والسعادة
والوقوف عليهما بشتى الطرق ولكنهما لن يطبلا لك البقاء.
إن النعيم - ذلك الشعور الغريب بالمسرة والارتياح - ليس له
من علة أو سبب، ولا يمكنك البحث عنه. بمجرد وجوده،
فإنه وتبعاً لعقلك يكون متجاوزاً للزمان والأسباب.
إن التأمل ليس سعياً وراء المتعة أو بحثاً عن السعادة. بل
على العكس من ذلك، هو "حالة ذهنية لا يوجد فيها مفهوم
أو صيغة، وبالتالي حرية كاملة". ولا يتأتى هذا النعيم إلا
إلى مثل هذا العقل - دون مَسعى أو ترغيب. وبمجرد وجود
هذا العقل، فإنك وعلى الرغم من عيشك في عالم الضجيج
والمتعة والوحشية الذي نقطنه، فإن كل ذلك لن يمس هذا
العقل. وبمجرد وجوده، يتوقف الصراع. ولكن إنهاء
الصراع لا يعني بالضرورة الحرية الكاملة. فالتأمل هو
حركة العقل في هذه الحرية. وفي هذا الفيض من النعيم
تغدو العيون بريئة، ويوول الحب حينئذ رحمة.

لا أدري إن كنتَ قد أبصرتَ من قبل أنه ما أن تُبدي يقظةً
ووعياً كاملاً حتى يسود صمتٌ تام. في هذه اليقظة لا توجد
حدود ولا مركز. هذه اليقظة، وهذا الصمت، هو حالةٌ من
التأمل.

إننا بالكاد نستمعُ إلى صوتِ نباحِ كلبٍ، أو إلى صراخِ طفلٍ
أو ضحكِ رجلٍ يمرُّ من أمامنا. إننا نعزلُ أنفسنا عن كلِّ
شيءٍ، ثم نطل بروؤوسنا من هذه العزلة ونُنصت إلى كلِّ
الأشياء. إن هذا الانفصال ضارٌّ ومقوِّضٌ بالكامل، لأنه
مكمنٌ لكلِّ صراعٍ وضياعٍ. وإذا استمعتَ إلى صوتِ تلكِ
الجلالِ والنواقيسِ في صمتٍ تامٍ، فإنك ستركبها - أو
بالأحرى، فإن الصوتَ سيحملك عبر الوادي وفوق التلال.
ولا نلتمس جمالَ ذلك إلا عندما ينتهي الانفصال المزمع
بيننا وبين الصوت. عندما نغدو جزءاً منه. التأمل هو إنهاءٌ
لذلك الانفصال من دون أي فعل إرادةٍ أو رغبةٍ.

التأمل ليس شيئاً منفصلاً عن الحياة؛ بل هو جوهرُ الحياة،
وروحُ الحياة اليومية. إن الاستماعَ إلى تلكِ النواقيسِ
والجلالِ، والاستماعَ إلى ضحكِ ذلكِ الفلاحِ وهو يمشي مع
زوجته، والاستماعَ إلى صوتِ الجرسِ على دراجة الفتاة
الصغيرة وهي تمر: كل الحياة، وليس مجرد جزء منها، هي
التي يتجلى فيها التأمل.

التأملُ هو إِبصارُ الموجودِ والتوغلُ إلى ما بعده.

في التأمل تتراءى لنا حركةً من نشوةٍ عظيمة لا ينبغي خلطها باللذة. هذه النشوة هي التي تمنح العين والعقل والقلب صفة الطهارة والنقاوة. فبدون النظر إلى الحياة كشيء جديد تمامًا، تصبح روتينًا وملأ وأمرًا مُفرغًا لا معنى له. لذا فإن للتأمل أهمية كبيرة. فهو يفتح الباب أمام ما يتجاوز الحسبان والقياس.

إن التأمل لا يأتي في وقتٍ مُعين؛ فالوقتُ أوهنُ من أن يُحدثَ تحولاً ذا شأن؛ يمكن للوقت أن يسفرَ عن تغييرٍ يحتاج بدوره إلى تغييرٍ مرةً أخرى، ككل التهذيبات البسيطة. إن التأمل الذي ينبثقُ من الوقت مُقيّدٌ دائماً، ولا توجد فيه حرية، وبلا حرية هناك دائماً خيارٌ ومن ثم صراع.

إنه لأمر مُحْتَم علينا أن نُغَيِّرَ من مجتمَعنا، والظلم الواقع فيه وأخلاقه المروّعة والانقسامات التي خَلَقها بين الإنسانِ والإنسانِ والحروب والافتقار التام إلى المودةِ والحب، ذلك الافتقار الذي ينهك العالم. وإذا كان تأملك مُجرد مسألة شخصية، أو شيء تستمتع به شخصياً، فهو ليس تأملاً. فالتأمل يعني تغييراً جذرياً كاملاً للعقل والقلب. وهذا لا يُمكن أن يحدث إلا عندما يكونُ هناك هذا الشعور الاستثنائي بالصمت الداخلي، وهذا وحده الذي يؤدي إلى العقل الديني. العقل الذي يعرف ماهية المقدس.

عندما تعي معنى الهدوء، وعندما تُدرك معنى الاضطراب
والحزن وما إذا كانت للحزن نهاية، وعندما تفهم المتعة،
عندئذٍ يخرجُ من ذلك عقلٌ هادئٌ بشكلٍ غير عادي؛ لست
مضطرباً إلى البحث عنه.

يجب أن تبدأ من البداية والخطوة الأولى هي الخطوة
الأخيرة، وهذا هو التأمل.

إن التأمّلَ هو الانسلاخُ مِنَ الزمنِ.

إن التأمّلَ ليسَ هُرُوباً مِنَ العالَمِ؛ فهو ليسَ نَشَاطاً لِلعُزلةِ أو
انغلاقاً على الذاتِ، بل هو فِهمُ العالَمِ وَسُبله.

التأملُ هو اكتشافُ ما إذا كان هناك مجالٌ غير مشوبٍ
بالمعلوم.

إن التأمل هو ازدهار الوعي. الوعي المتعالى على الزمن؛ فالزمن لا يولد الوعي أبداً. إن الوعي ليس عمليةً تدريجية تُكتسب شيئاً فشيئاً، بعنايةٍ وصبر.

بدون الوعي سوف يستمرُّ الحزن. إن الحزن لا ينتهي إلا من خلال معرفة الذات، والوعي بكل فكرةٍ وشعور، وكل حركةٍ للعقل وكل ما هو مخفي. إن التأمل هو فهم الوعي، المخفي والمكشوف، والحركة التي تكمن وراء كل فكرةٍ وشعور.

يجب أن تتأمل في عزلة، في هدوء الليل أو في الصباح
الباكر الهادئ. عندما تتأمل في عزلة، يجب أن تكون
بمفردك تماماً، بلا نظام أو طريقة، أو تكرار للكلمات، أو
ابتغاء لفكرة. تأتي هذه العزلة عندما يتحرر العقل من
الفكر.

فتأمل في هذا العزلة التي لا تنتهي، في جمال هذا الحب،
في هذه البراعة، في الصفاء - عندها ستجد النعيم الذي لا
يفنى.

إن التأمل ليس وسيلة لتحقيق غاية؛ فلا غاية هناك، ولا وجهة؛ بل هو حركة في الزمن وخارجِه. يصبو كلُّ نظام أو منهاج لربط الفكرِ بالزمن، لكن الوعي غير المختار لكل فكرةٍ أو عاطفة، وفهم دوافعهما، وآلياتهما، والسماح لهما بالازدهار، هو بداية التأمل. وعندما يزدهر الفكر والعواطف ثم يتلاشيان، يؤول التأمل حركةً تتجاوز الزمن. وفي هذه الحركة تقبع النشوة؛ وفي الفراغ التام يوجد الحب، ومع الحب يوجد الفناء والتخليق.

التأملُ هو ضياءُ العقلِ الذي يُنيرُ الطَّرِيقَ الذي نسلُكُه؛
وبدونِ ذلكَ الضياءِ لا يوجد حب.

ليس التأملُ صلاةً أو دعاءً. الصلاةُ والدعاء، يتولدان من الشفقةِ على الذات. إنك تدعو عندما تكونُ في محنة، عندما يكونُ هناكُ كَرْب؛ ولا تدعو عندما تكون في سعادةٍ وفرح. هذه الشفقة على الذات، التي ترسخت بعمق في الإنسان، هي جذرُ الانفصال. كُل ما هو مُنفصل، أو يُعتَقَد أنه مُنفصل، يسعى دائماً إلى التماهي مع شيءٍ غير مُنفصل، لا يجلبُ لنفسه سوى المزيد من الانقسامِ والألم. من هذه الحيرة يتوسلُ المرءُ إلى السماء، أو إلى الزوج، أو إلى إلهِ العقل. قد تجد هذه الصرخة إجابة، لكن الإجابة هي صدى لتلك الشفقة على الذات، في انفصالها.

في هذا الصبّاح كان التأمّلُ في العدم، الفراغ الخالص
للزمانِ والمكانِ. إنهُ واقعٌ وليس فكرةً أو مفارقةً لتكهناتٍ
متناقضة. يجدُ المرءُ هذا الفراغَ الغريبَ عندما يضمحلُّ جذرُ
كلِّ المشاكلِ. هذا الجذرُ هو الفكرُ، الفكرُ الذي يبني ويهدم.

إن ازدهار الحب تأمل

كان التأملُ في تلك الساعة حُرِيَّةً، كان أشبهُ بالولوجِ إلى
عالمٍ مجهولٍ من الجمالِ والهُدوءِ؛ عالم بلا صورة أو رمز
أو كلمة، وبلا بقايا من الذاكرة.

كان الحب فناءً لكل دقيقة، وكان كلُّ فناءٍ تجديدًا للحب. لم
يكن تعلقًا، ولم يكن له جذور؛ كان يزهر بلا سبب، وكان
شُعلةً تُذيب الحدودَ و الأسوار المكبلة للوعي. كان جمالًا
يَتجاوز الفكر والشُعور؛ جمالًا لا يحده قماش، أو كلمات أو
رخام. كان التأمل فرحًا ومعه تأتي الرحمة.

إن الإيمان غيرُ ضروري، شأنه في ذلك شأن المُثل العليا. فكلهما إهدارٌ للطاقةِ اللازمة للسعي لكشف الحقيقة، حقيقة "ما هو موجود".

إن الإيمان والمُثل العليا هي مساعٍ للهروب من الحقيقة، ولا خلاصَ لنا من الحزن في ذلكم الهُروب. إن إنهاء الحزن هو الوعي بالحقيقة من آن إلى آن. ليس ثمة شرعة أو منهاجًا من شأنها أن تهبَّ الوعي؛ فقط الإدراك غير المختار للحقيقة من شأنه أن يفعل ذلك. إن التأملَ وفقًا لنهج ما هو تجنبٌ لحقيقة ما أنت عليه؛ فالأولى أن تعي نفسك، وتقلباتها المستمرة، ومن ثم التأمل بغية الوصول إلى الله أو الوقوع على رؤى وأحاسيس وضروب أخرى من المسرّة.

في الفضاء الذي يخلقه الفكر حول نفسه لا وجود للحب.
هذا الفضاء يفصل الإنسان عن الإنسان، وتكمن فيه كل
تقلبات وصراعات الحياة، علاوة على الألم والخوف. التأمل
هو نهاية هذا الفضاء، نهاية "الأنا". عندئذ يغدو للعلاقة
معنى مختلف تمامًا، ففي هذا الفضاء الذي هو بمنأى عن
الفكر، لا وجود للآخر، لأنك لا تغدو موجودًا.

التأملُ هو التحريرُ الكاملُ للطاقة

التأملُ مثلُ النهرِ، إلا أنه لا بدايةَ له ولا نهايةَ.
بدأً ونهايتهُ هي بدايتهُ.

في التأملِ يجبُ على المرءِ أن يكتشفَ ما إذا كانت هُناك
نهايةً للمعرفة وبالتالي تحرراً من المَعْلوم.

لقد هطلت الأمطارُ بغزارةٍ خلالَ الليلِ والنهارِ، وتدَفقت
المياهُ الموحلةُ عبرَ الوديانِ إلى البحرِ، مما جعله بنيًا
كالشوكولاته. وترأعت من الشاطئِ أمواجًا هائلةً تتكسر
بانحناءٍ وقوةٍ رائعتين. وبالسيرِ عكسُ الرياحِ، نشعرُ أنه لا
وجودَ لغشاوةٍ بيننا وبينَ السماءِ، وأن هذا هو الفردوسُ
والنعيم. أن تكونَ مُتَفَتِحًا تمامًا، للتلالِ والبحرِ والإنسانِ -
هذا هو جوهر التأمّل.

أن تكونَ بلا مقاومةٍ، بلا حواجزٍ داخليةٍ تجاهَ أي شيءٍ،
وأن تكونَ حرًا بمعنى الكلمة، من كل الرغباتِ والإلزاماتِ
والمطالبِ، هو أن تمشي في الحياةِ بأذرعٍ مفتوحةٍ.
وفي ذلك المساءِ، وأنت تمشي هناك على تلك الرمالِ
الرطبةِ، معَ طيورِ النورسِ من حولك، تشعرُ بإحساسٍ غيرِ
عادي بالحريةِ والبهاءِ العظيمِ للحبِ الذي لم يكن فيك أو
خارجك - بل في كل مكان.

إننا لا ندرك مدى أهمية التحرُّرِ من المَلذاتِ المُزعِجةِ
وآلامها، حتى يغدو العقلُ وحيدًا. إن العقلَ الذي يغدو وحيدًا
تمامًا هو المُتَفَتِحُ الوَحيدُ. كريحٍ عظيمةٍ اجتاحتنا والأرض.

إِنَّ الْوَعْيَ بِالتَّأْمَلِ يَتَضَمَّنُ الْحُبَّ، حُبًّا لَا شَأْنَ لَهُ بِالْأَنْظِمَةِ
وَالْعَادَاتِ وَالْمَنَاهِجِ.

لَا يُمْكِنُ تَتْمِيَةُ الْحُبِّ بِالفِكْرِ. يَأْتِي الْحُبُّ إِلَى الْوُجُودِ عِنْدَمَا
يَكُونُ هُنَاكَ صَمْتٌ تَامٌ، صَمْتٌ يَغِيبُ فِيهِ التَّأْمَلُ تَمَامًا؛ وَلَا
يُمْكِنُ لِلْعَقْلِ أَنْ يَصْمِتَ إِلَّا عِنْدَمَا يَعِي حَرَكَتَهُ الْخَاصَّةَ كَفِكْرِ
وَشُعُورِ.

إن تأملَ العقلِ الصامتِ تمامًا هو النعمةُ التي يبتغيها
الإنسانُ دائمًا. ففي هذا الصمتِ تتراءى كلُّ صفةٍ من صفاتِ
الصمتِ.

التأملُ هو التحرُّرُ من الفكر، والحركةُ في نشوة الحقيقة.

كان الجو هادئًا للغاية في الصباح الباكر ولم يكن هناك طائر
أو ورقة شجر تتحرك. بدأ التأمل في أعماق غير معلومة،
واستمر بوتيرة متزايدة، مُقتادًا الدماغ إلى صمت تام،
ومُستظهرًا أعماق الفكر، ومقتلعا الشعور، ومفرغًا للدماغ
من المعلوم وظلاله. كانت عملية جراحية بلا جراح؛ كان
الأمر مستمرًا، كما يجري الجراح عملية جراحية للسرطان،
فيقطع كل الأنسجة الفاسدة، خشيّة أن ينتشر المرض مرة
أخرى.

كان هذا التأمل مستمرًا لمدة ساعة. وكان تأملًا بدون
متأمل. يلج المتأمل في غبائه وغروره وطموحاته وجشعه.

